فلسفة الطَّائشة

. . . وهذا مجلسٌ من مجالس (الطَّائشة) مع صاحبها ، مما تَسقَّطَه من حديثها ؛ فقد كانَ يكتبُ عنها ما تصيبُ فيه ، وما تخطىء ، كما يكتب أهلُ السِّياسةِ بعضهم عن بعض إذا فاوض الحليفُ حليفَه ، أو ناكرَ الخصمُ خصمَه ؛ فإنَّ كلامَ الحبيب ، والسِّياسيِّ الدَّاهية ليس كلامَ المتكلِّم وحده ، بل فيه نطقُ الدَّولة . . . وفيه الزَّمنُ يُقْبِل ، أو يُدبر .

وصاحبُ الطَّائشة كان يراها امرأةً سياسيَّة كهذه الدُّوَل الَّتي تُرْغِم صديقاً على الصَّداقة ، لأنَّه في طريقها ، أو طريق حوادثها ؛ وكان يسمِّيها « جيشَ احتلال » إذ حطَّت في أيامه واحتلَّتها فتبوَّأَتْ منها ما شاءت على رغمه ، واستباحت ما أرادت ممَّا كان يَحميه ، أو يمنعُه ؛ وقد كان في مدافعته حبَّها ، واستمساكِه بصداقتها كالذي رأى ظلَّ شيءٍ على الأرض ، فيحاولُ غسلَه ، أو كنسه ، أو تغطيته . . فهذا ليس ممَّا يُغْسَل بالماء ، ولا يكنَس بالمِكْنسة ؛ ولا يغطَّى بالأغطية ؛ إنَّما إزالته في إزالة الشَّبَح ؛ الَّذي هو يُلقيه ، أو إطفاء النُّور الَّذي هو يُثبِتُه .

في كلِّ شيءٍ على هذه الأرض سُخريةٌ ، والسُّخرية من الحسن الفاتن الذي تقدِّسه ، تأتي من اشتهاءِ هذا الحسن ؛ فذاك إسقاطه سقوطاً مقدَّساً . . . أو ذاك تقديسُه إلى أن يسقطُ ، أو هو جَعلُ تقديسِه باباً من الحيلة في إسقاطه ، لا بدَّ من سُفْلٍ مع العُلوِّ يكون أحدُهما كالسُّخرية من الآخر ؛ فإذا قال رجلٌ لامرأةٍ قد فتَنَتْه ، أو وقعت من نفسه : « أُحبُّك » ، أو قالتها المرأةُ لرجلٍ وقع من نفسها أو استَهامَها[1] ؛ ففي هذه الكلمةِ النَّاعمةِ اللَّطيفة كلُّ معاني الوقاحةِ الجنسيَّة ، وكلُّ السُّخرية بالمحبوب سخريةَ بإجلالٍ عظيم . . . وهي كلمةُ شاعرٍ في تقديس الجمال ، والإعجاب به ، غير أنَّها هي بعينها كلمة الجزَّار ؛ الذي يَرى الخروف في جماله اللحميِّ الدُّهنيِّ ، فيقول : « سَمِين . . . ! » .

لهذا يمنع الدِّينُ خَلوةَ الرَّجل بالمرأة ، ويُحرِّم إظهارَ الفتنةِ من الجنس

(١) « استهامها » : شُغِف بها حُبّاً .

للجنس ، ويَفْصِل بمعاني الحجاب بين السَّالب والمُوجب ، ثمَّ يضعُ لأعينِ المؤمنين والمؤمنات حجاباً آخرَ ، من الأمر بغَضِّ البَصر ؛ إذ لا يكفي حجابٌ واحدٌ ؛ فإنَّ الطَّبيعة الجنسيَّةَ تنظر بالدَّاخِل ، والخارج معاً ـ ثمَّ يطردُ عن المرأة كلمةَ الحبِّ إلا أن تكون من زوجها ؛ وعن الرَّجل إلا أن تكون من زوجته ؛ إذ هي كلمةُ حيلةٍ في الطبيعة أكثرُ مما هي كلمةُ صدقٍ في الاجتماع ، ولا يؤكِّد في الدِّين صدقها الاجتماعيَّ إلا العَقْدُ والشُّهودُ ، لربطِ الحقوق بها ، وجعلِها في حياطةِ القوَّة الاجتماعيَّة التشريعيَّة ، وإقرارِها في موضعها من النِّظام الإنسانيِّ ؛ فليس ما يمنع أن يكون العاشق من معاني الزَّوج ، أمَّا أن يكون من معنىً آخر ، أو يكون بلا معنىً ؛ فلا ؛ وكلُّ ذلك لصيانة المرأة ، ما دامت هي وحدها ؛ التي تَلِد ، وما دامت لا تَلِد للبيع . . .

وفلسفة هذه الطَّائشة فلسفةُ امرأة ذكيَّة مطَّلعةٍ مُحيطةٍ مفكِّرةٍ ، تبصِرُ للكتب ، والعقل ، والحوادثِ جميعاً ، وقد أصبحت بعد سَقطةِ حبِّها ترى الصَّواب في شكلين لا شكلٍ واحدٍ ، فتراه كما هو في نفسه ، وكما هو في أغلاطها .

وقد أسقطنا في رواية مجلسها ما كان من مُطارَحات العاشقة ، واقتصرنا على ما هو كالإملاء من الأستاذة . . .

* * *

قال صاحبُ الطَّائشة : ذكرتُ لها « قاسم أمين » وقلت : إنَّها خير تلاميذه وتلميذاته . . . حتَّى لكأنَّها تجربةُ ثلاثين سنة لآرائه في تحرير المرأة . فقالت : إنَّما كان قاسم تلميذَ المرأة الأوربيَّة ، وهذه المرأة بأعيُننا ؛ فما حاجتُنا نحن إلى تلميذها ؟

قالت : وأبلَغُ من يَردُّ على قاسم اليومَ هي أستاذته الَّتي شَبَّت بها أطوارُ الحياةِ بعده ، فقد أثبت قاسم ـ غفر الله له ـ أنَّه انحصر في عهدٍ بعينه ، ولم يُتبع الأيامَ نظرَه ، ولم يستقرئ أطوار المدنيَّة ، فلم يُقدِّر أنَّ هذا الزَّمنَ المتمدِّنَ سيتقدَّم في رذائله بحكم الطَّبيعة أسرعَ وأقوى ممَّا يتقدَّم في فضائله ، وأنَّ العلم لا يستطيع إلا أن يخدم الجهتين بقوَّةٍ واحدةٍ ، فأقواهما بالطَّبيعة أقواهما بالعلم ، وكأنَّ الرَّجلَ كان يظنُّ : أنَّه ليس تحت الأرض زلازِلُ ، ولا تحت الحياة مثلُها .

مزّق البرقع[١] ، وقال : « إنَّه ممَّا يزيد في الفتنة ، وإنَّ المرأة لو كانت مكشوفة الوجه لكان في مجموع خَلْقها ـ على الغالب ـ ما يردُّ البصر عنها » فقد زال البرقع ، ولكن هل قدَّر قاسم : أنَّ طبيعةَ المرأة منتصرةٌ دائماً في الميدان الجنسيِّ بالبرقع ، وبغير البرقع ، وأنَّها تخترع لكلِّ معركةٍ أسلحتها ، وأنَّها إن كشفت برقعَ الخزِّ ، فستضعُ في مكانه برقعَ الأبيض ، والأحمر . . . ؟

وزعم : أنَّ « النِّقاب والبرقع من أشد أعوان المرأة على إظهار ما تظهر ، وعمل ما تعملِ لتحريك الرَّغبة ، لأنَّهما يخفيان شخصيتها ، فلا تخاف أن يعرفها قريبٌ ، أو بعيدٌ ، فيقول : فلانة ، أو بنت فلان ، أو زوج فلان كانت تفعل كذا ؛ فهي تأتي كل ما تشتهيه من ذلك تحت حماية البرقع ، والنِّقاب » . فقد زال البرقع ، والنِّقاب ، ولكن هل قدَّر قاسم : أنَّ المرأة السّافرة ستلجأ إلى حمايةٍ أخرى ، فتجعلُ ثيابها تعبيراً دقيقاً عن أعضائها ، وبدلاً من أن تُلبس جِسْمَها ثوباً يكسوه ، تُلبسه الثّوبَ الذي يكسوه ، ويزيِّنه ، ويظهره ، ويحرِّكه في وقتٍ معاً ، حتّىٰ ليكاد الثّوب يقول للنّاظر : هذا الموضع اسمُه . . . وانظر هنا ، وانظر ها هنا . . . ما زادت المدنيَّة على أن فكَّكت المرأة الطَّيِّبة ، ثمَّ ركَّبتها في هذه الهندسة الفاحشة ! .

وأراد قاسم أن يعلِّمنا الحبَّ ليرتبطَ به الزَّوجَ معنا ، فلم يزد على أن جرَّأنا على الحبِّ ؛ الذي فرَّ به الزَّوجُ منّا ، وقد نسي : أنَّ المرأة التي تخالط الرَّجلَ لِيُعجبها ، وتُعجبَه ، فيصيرا زوجين إنَّما تخالط في هذا الرَّجل غرائزَه قبل إنسانيَّته ، فتكون طبيعته ، وطبيعتها هي محلَّ المخالطة قبل شَخْصَيْهما ، أو تحت ستارِ شخصيهما ؛ وهو رجلٌ ، وهي امرأةٌ ، وبينهما مصارَعَةُ الدَّم . . . وكثيراً ما تكون المسكينةُ هي المذبوحة ! وقد انتهينا إلى دهرٍ يُصنعُ حُبُّه ، ومجالسُ أحبابه في « هوليود » وغيرها من مُدُن السِّيما ، فإن رأى الشابُّ على الفتاة مظهرَ العفَّةِ ، والوقار ؛ قال : بلادةٌ في الدم ، وبلاهةٌ في العقل ، وثِقلٌ أيَّ ثقلٍ ؛ وإن رأى غيرَ ذلك قال : فجورٌ ، وطيشٌ ، واستهتارٌ أيَّ استهتارٍ ! فأين تستقرُّ المرأة ، ولا مكانَ لها بين الضِّدَّين ؟

أخطأ قاسم في إغفال عمل الزمن من حسابه ، وهاجمَ الدِّين بالعُرْف ، وكان

(١) « البرقع » : غطاء للوجه .

من أفحش غلطه ظنُّهُ العرفَ مقصوراً على زمنه ، وكأنَّه لم يدر : أنَّ الفرقَ بين الدِّين وبين العُرف ، هو أنَّ هذا الأخيرَ دائمُ الاضطراب ، فهو دائم التَّغيُّر ، فهو لا يصلح أبداً قاعدةً للفضيلة ، وها نحن أولاء قد انتهينا إلى زمن العُرْي ، وأصبحنا نجد لفيفاً من الأوربِّيِّين المتعلِّمين ، رجالِهم ، ونسائِهم ، إذا رأوا في جزيرتهم ، أو محلَّتهم ، أو ناديهم رجلاً يلبس في حِقويْه[1] تُبَاناً قصيراً كأنَّه ورقُ الشَّجر على موضعه ذاك من آدم وحواء إذا رأوا هذا المتعفِّف بخِرْقَةٍ . . . أنكروا عليه ، وتساءلوا بينهم . مَن . . . . مَن هذا الرّاهب . . . ؟!.

ونسي قاسم ـ غفر الله له ـ أنَّ للثياب أخلاقاً تتغيَّر بتغيُّرِها ، فالَّتي تُفرغُ الثَّوبَ على أعضائِها إفراغَ الهندسة ، وتلبسُ وجهها ألوان التَّصوير ، لا تفعل ذلك إلا وهي قد تغيَّر فهمُها للفَضَائل ، فتغيَّرت بذلك فضائلُها ، وتحوَّلت من آياتٍ دينيَّةٍ إلى آيات شعريَّةٍ . ورُوح المسجد غيرُ روح الحانة ، وهذه غيرُ روح المرقص ، وهذه غير روح المُخْدَع[2] ؛ ولكلِّ حالةٍ تلبس المرأة لِبساً فتخفي منها ، وتبدي ، وتحريك البيئة لتتقلَّب ، هو بعينه تحريك النَّفس لتتغيَّرَ صفاتها . وأين أخلاق الثِّيابِ العصريَّة في امرأة اليوم من تلك الأخلاق التي كانت لها من الحجابِ ؟ تبدَّلتْ بمشاعر الطّاعة ، والصَّبر ؛ والاستقرار ، والعناية بالنَّسل ، والتفرُّغ لإسعاد أهلها وذويها ـ مشاعرَ أخرى ، أوَّلها كراهية الدّار ، والطّاعةِ ، والنَّسل ؛ وحَسبُكَ من شرِّ هذا أوَّله ، وأخفُّه !.

كان قاسم كالمخدوع المغترِّ بآرائه ، وكان مُصلِحاً فيه روحُ القاضي ، والقاضي بحكم عمله مقلِّدٌ مُتَّبع ، أليس عليه أن يُسْنِدَ رأيَه دائماً إلىٰ نصٍّ لم يكن له فيه شأنٌ ولا عمل ؟ من ثم كثرت أغلاطُ الرَّجل حتى جعل الفرقَ بين فسادِ الجاهلة ، وفساد المتعلمة : أنَّ الأولى « لا تكلف نفسها عناءَ البحث عن صفات الرَّجل الذي تريد أن تقدِّم له أَفضلَ شيء لديها ، وهو نفسها ، وعلى خلاف ذلك يكون النِّساء المتعلِّماتُ ، إذا جرى القدرُ عليهنَّ بأمرٍ ممَّا لا يحلُّ لهنَّ ، لم يكن ذلك إلا بعد محبَّةٍ شديدةٍ يسبقها علمٌ تامٌ بأحوال المحبوب (. . . .) وشمائِله ،

---

(١) « حقويه » : مثنى حَقْو ، وهو الخصر .

(٢) « المخدع » : الحُجْرة في البيت .

وصفاتِه ، فتختاره من بين مئاتٍ ، وألوفٍ ممَّن تراهم في كلِّ وقت (!!!!) وهي تحاذر أن تضع ثقتها في شخصٍ لا يكون أهلاً لها ، ولا تسلِّم نَفسها إلا بعد مناضلةٍ يختلف زمنها ، وقوَّةُ الدِّفاع فيها حسب الأمزجة (؟؟؟؟) وهي في كلِّ حالٍ تستتر بظاهر من التعفُّف (؟؟؟؟) . . . »[١] .

أليس هذا كلامُ قاض من القضاة المدَنيِّين المتفلسفين على مذهب (لمبروزو) يقول لإحدى الفاجرتين : أيَّتها الجاهلة الحمقاء ، كيف لم تَتحاشيْ ولم تتستَّري ، فلا يكون للقانون عليك سبيل ؟ .

وحتّىٰ في هذا قد أثبت قاسم : أنَّه لا يعرفُ الأرنبَ وأُذنيها[٢] وإلا فمتى كان في الحبِّ اختيارٌ ، ومتى كان الاختيارُ يقع « فيما يجري به القدَرُ » ، ومتى كان نظر العاشقة إلى الرِّجال نظراً سيكولوجياً كنظر المعلمة إلى صبيانها . . . فتدرس الصِّفات ، والشَّمائل في مئاتٍ ، وألوف ممَّن تراهم في كلِّ وقتٍ لتصَفِّيها كلّها في واحدٍ تختاره من بينهم ؟ هذا مضحكٌ ! هذا مضحكٌ !

إليك خبراً واحداً ممّا تنشره الصّحف في هذه الأيام : كفرار بنت فلان باشا خِرِّيجة مدرسة كذا مع سائق سيارتها ؛ ففسِّر لي أنت كلام قاسم ، وأفهمني كيف تكون اثنان واثنان خمسةً وعشرين ؟ وكيف يكون فرارُ متعلِّمةٍ أصيلةٍ مع سائق سيارة ؛ هو محاذرةُ وضع الثِّقةِ فيمن لا يكون أهلاً لها ؟ .

لقد أغفل قاسم حسابَ الزَّمن في هذا أيضاً ، فكثيرٌ من المنكرات والآثام قد انحلَّ منها المعنى الدِّينيُّ ، وثبت في مكانه معنى اجتماعيٌّ مقرَّرٌ ، فأصبحت المتعلمة لا تتخوَّف من ذلك على نفسها شيئاً ، بل هي تُقارفه ، وتستأثر به دون الجاهلة ، وتلبس له (السواريه) ، وتقدم فيه للرِّجال المهذَّبين مرَّةً ذراعها ، ومرَّةً خَصرها . . .

أقرأتَ (شهرزاد) ؟ إنَّ فيها سطراً يجعل كتابَ قاسم كلَّه ورقاً أبيض مغسولاً

---

(١) ص (٥١) من كتاب : « تحرير المرأة » ، وهو كلام قاسم بنصِّه ، وأكثر ما في هذا الكتاب هو في رأينا خلطٌ وخبطٌ . (ع) .

(٢) يقول العرب : « فلانٌ يعرف الأرنب وأذنيها » أي : يعرف الشَّيءَ بالعلامة التي تثبته ، ولا تتخلف . (ع) .

ليس فيه شيءٌ يقرأ :

قالت شهرزاد المتعلِّمةُ ، المتفلسفةُ ، البيضاءُ ، البضَّةُ[١] ، الرَّشيقة ، الجميلة ؛ للعبد الأسود ، الفظيع ، الذَّميم ؛ الذي تهواه : « ينبغي أن تكون أسودَ اللَّون ؛ وضيع الأصل ؛ قبيحَ الصُّورة ؛ تلك صفاتُك الخالدَة الَّتي أُحبُّها »[٢] .

فهذا كلام الطبيعة نفسها لا كلام التَّأليف ، والتَّلفيق[٣] ، والتَّزوير على الطَّبيعة .

* * *

قال صاحب الطَّائشة :

فقلت لها : فإذا كان قاسم لا يُرضيك ، وكان الرَّجل مصلحاً دخلتْه روح القاضي ، فخلط رأياً صالحاً ، وآخر سيِّئاً ، فلعلَّ « مصطفى كمال » همُّك من رجلٍ في تحرير المرأة تحريراً مزَّق الحجاب والـ . . . ؟ .

قالت : إنَّ مصطفى كمال هذا رجلٌ ثائرٌ ، يسوقُ بين يديه الخطأ ، والصَّواب بعصاً واحدةٍ ، ولا يمكن في طبيعة الثَّورة إلا هذا ، ولا يبرح ثائراً حتّىٰ يتمَّ انسلاخ أمَّته . وله عقلٌ عسكريٌّ كان يمكر به مكر الألمان ، حين أكرههم الحلفاءُ على تحويل مصانع (كروب) ، فحوَّلوها تحويلاً يردها بأيسر التَّغيير إلى صنع المدافع ، والمهلِكات . وليس الرَّجل مُصلحاً ألبتَّة ، بل هو قائدٌ زهاه[٤] النَّصر ؛ الذي اتَّفق له ، فخرج من تلك الحرب الصَّغيرة وعلى شفتيه كلمة : « أريد . . . » وجعل بعد ذلك إذا غلِط غلطةً أرادها منتصِرةً ، فيفرضها قانوناً على المساكين الذين يستطيع أن يفرض عليهم ، فيقهرهم عليها ، ولا يناظرهم فيها ، ويأخذهم كيف شاء ، ويَدَعهم كيف أحبَّ ؛ وبكلمةٍ واحدةٍ : وهو مؤلِّف الرِّواية ، والقانون نفسه أحد الممثلين . . .

---

(١) « البضة » : بَضَّ البدنُ : امتلأ ونَضُر ، وكان رقيق الجِلْد ، ناعماً في سِمَن .

(٢) ص (١٠٦) من « شهرزاد » للكاتب الدقيق صديقنا الأستاذ توفيق الحكيم ، وقد كتبنا في هذا المعنى ، وكشفنا عن سرِّه في كتاب « أوراق الورد » (ص ٥١ ـ ٥٢) الطبعة الأولى ، وفي غيره من كتبنا . (ع) .

(٣) « التلفيق » : زخرفة الكلام ، وتمويهه بالباطل ، فهو مُلَفَّق .

(٤) « زهاه » : زها : تكبر ، وأُعجب بنفسه .

وحِقدُه على الدِّين ، وأهل الدِّين هو الدَّليل على أنَّه ثائرٌ لا مصلحٌ ؛ فإنَّ أخصَّ أخلاق الثَّورة حِقد الثائرين ، وهذا الحقد في قوة حرب وحدَها ، فلا يكون إلا مادَّةً للأفعال الكثيرة المذمومة . والرَّجل يحتذي أوروبة ، ويعمل على أعمال الأوروبيِّين في خيرها وشرِّها ، ويجعل رذائلهم من فضائلهم على رغم أنفهم ، يتبرَّؤون هم منها ويُلحقها هو بقومه ، فكأنَّه يَعتنف الآراء ويأخذها أخذاً عسكريّاً ، ليس في الأمر إلا قولهُ : « أريد . . » . فيكون ما يريد . هو لم يحكم على شبرٍ من أوروبة يجعله تركيّاً ، ولكنَّه جعل رذائل أوروبة تتجنَّس بالجنسيَّة التُّركيَّة . . .

وتالله ! إنَّه لأيسَرُ عليه أن يجيء بملائكةٍ أو شياطينَ من المرَدَة ، ينفخون أرض تركية ، فيَمُطُّونها مطّاً ، فيجعلونها قارَّةً ، من أن يُكرِه أوروبة على اعتبار قومه أوروبِّيين بلبس قبعةٍ ، وهدْم مسجدٍ . إنَّه لا يزال في أوَّل التاريخ ، وهذا الشَّعب الذي انتصر به لم تلدْه مبادئه ، ولا أنشأه هدْمُ المساجد ، وشنق العلماء ؛ بل هو ، هو الذي ولدته تلك الأمَّهات ، وأخرجه أولئك الآباء ، وما كان يُعْوِزُه إلا القائد الحازم المصمِّم ، فلمّا ظفر بقائده جاء بالمعجزة ؛ فإذا فُتِنَ القائد بنفسه وأبى إلا أن يتحوَّل نبيّاً ، فهذا شيءٌ آخر له اسمٌ آخر .

ولنفرض « الأثير » كما يقول العلماء ، لنستطيع أن نجعل مسألتنا هذه علميَّةً ، وأن نبحثها بحثاً علميّاً ، فليكن مصطفى كمال هو اللورد كتشنر في إنجلترا ؛ فيكسب اللورد كتشنر تلك الحرب العظمى لا حرب الدُّويلة الصَّغيرة ، وينتصر على البراكين من الجيوش لا على مثل براميل النَّبيذ . . . ثم يستعِزُّ الرَّجل بدالَّتِه على قومه ، ويدخله الغرور ، فيتصنَّع لهم مرَّةً ، ويتزيَّن لهم مرَّةً ، ثُمَّ يأتيهم بالآبدة فيُسفِّه دينهم ، ويريدهم على تعطيل شعائرهم ، وهدم كنائسهم ؛ لأن هذا هو الإصلاح في رأيه . أفترى الإنجليز حينئذٍ يَضْوُون إليه ، ويلتفون حوله ويقولون : قائدنا في الحرب ، ومُصلِحنا في السِّلم ، وقد انتصرنا به على النَّاس ، فسننتصر به على الله ، وظفرنا معه بيوم من التاريخ فسنظفر معه بالتّاريخ كلِّه . . . ؟ أم تحسب كتشنر كان يجسر على هذا ، وهو كتشنر لم يتغيَّر عقله ؟ .

إنَّه والله ! ما يتدافع اثنان أنَّ هَدْم كنيسةٍ واحدة يومئذٍ لا يكون إلا هدم كتشنر وتاريخ كتشنر ، ولكن العجزَ ممهَّدٌ من تلقاء نفسه ، والأرضُ المنخسِفة هي الَّتي يَسْتَنْقِعُ فيها الماء ، فله فيها اسمٌ ورَسْمٌ ؛ أمَّا الجبلُ الصَّخريُّ الأشمُّ ، فإذا صُبَّ

هذا الماء عليه ؛ أرسله من كلٍّ جوانبه ، وأفاضَه إلى أسفل . . .[١] ! .

* * *

قال صاحبُ الطائشة : فأقول لها : إذا كان هذا رأيَكِ للنِّساء ؛ فكيف لا ترَين مثل هذا لنفسك ؟ .

فتضعْضَعَت لهذه الكلمةِ ، ولجْلجَت[٢] قليلاً ، ثمَّ قالت : أنت سلبْتني الرأي لنفسي ، ووضعتني في الحقيقة ؛ التي لا تتقيَّد بقانون الخير ، والشرِّ .

قلت : فإذا كانت كلُّ امرأةٍ تغلطُ لنفسها في الرَّأي ، وتنصَح بالرَّأي الصَّائب غيرَها ، فيوشِك ألا يبقى في نساء الأرض فضيلةٌ ، ولا يعودُ في المدرسة كلِّها عاقلٌ إلا الكتاب . . .

فتضاحكت ، وقالت : لهذا يشتدُّ ديننا الإسلاميُّ مع المرأة ، فهو يخلق طبائعَ المقاومة في المرأة ، ويخلقها فيما حولها ، حتّىٰ ليخيَّل إليها أنَّ السَّماءَ عيونٌ تراها ، وأنَّ الأرض عقول تُحصي عليها ؛ وهل أعجبُ من أنَّ هذا الدِّينَ يقضي قضاءً مبرماً أن تكون ثيابُ المرأة أسلوبَ دفاعٍ ، لا أسلوبَ إغراء ، وأن يضَعها من النُّفوس موضعاً يكون فيه حديثها بينها وبين نفسها كالحديث في (الرّاديو) له دوي في الدُّنيا ، فيقيم عليها الحجاب ، وغيرةَ الرَّجل ، وشرفَ الأصل ؛ ويؤاخذها بروح طبيعتها ، فيجعل الهفوة منها كأنَّها جنينٌ يكبرُ ولا يزال يكبر حتّىٰ يكون عارَ ماضيها ، وخِزْيَ مستقبلها .

هذه كلُّها حُجُبٌ مضروبةٌ لا حجابٌ واحدٌ ، وهي كلُّها لخلق طبائع المقاومة ، ولتيسير المقاومة ؛ ومتى جاء العلم مع هذه لم يكن أبداً إطلاقاً ، ولم يكن أبداً إلا الحجابَ الأخيرَ كالسُّور حول القلعة ؛ ولكن قَبَّحَ الله المدنيَّةَ وفنَّها ؛ إنَّها أطلقت

---

(١) أفردنا مقالاً خاصّاً لهذا الإلحاد التركي الذُّبابي ، فقد عثرنا في النسخة الخطية التي عندنا من (كليلة ودمنة) على فصل بديع عنوانه : « كفر الذبابة » تقرؤه في الجزء الثاني من هذا الكتاب . (ع) .

قلت : وانظر حديثنا عن « كليلة ودمنة » في « النقد » من كتابنا : « حياة الرافعي » . (س) .

(٢) « لجلجت » : ترددت في كلامها .

المرأة حرَّةً ، ثمَّ حاطتها بما يجعلُ حرِّيتها هي الحريةَ في اختيار أثقل قيودها لا غير . أنت مُحمَّلٌ بالذَّهب ، وأنت حرٌّ ، ولكن بين اللُّصوص ؛ كأنَّك في هذا لستَ حرّاً إلا في اختيار من يجني عليك . . . !

لم تعد المرأة العصرية انتصارَ الأمومة ، ولا انتصارَ الخلُق الفاضل ، ولا انتصار التَّعزية في هموم الحياة ؛ ولكن انتصار الفنِّ ، وانتصار اللَّهو ، وانتصار الخلاعة .

قال صاحب الطّائشة : فضحكتُ ، وقلت : وانتصاري . . . !

(طبق الأصل) .

« تنبيه » :

ليست الطّائشة كلَّ النِّساء ، ولا كلَّ المتعلِّمات ، ونحن إنَّما نروي قصَّةً هي في الدُّنيا ، ليس فيها كلمة من المرِّيخ ، ولا من زُحل ؛ فأمّا الصّالح ؛ فيرى ، ويفهم ، ولعلَّه يصون بها نفسه ؛ وأمّا الفاسد ؛ فيرى ، ويعتبر ، ولعلَّه يردُّ بها نفسه . ومذهبنا دائماً وجوب كشف الحقيقة ، وإذا أردت أَن تأخذ الصَّواب فخذه عمَّن أخطأ .

* * *